

"الموقف من ظاهرة إحياء العشائرية في المناطق المحررة"

الكاتب : عبد المنعم زين الدين

التاريخ : 6 نوفمبر 2017 م

المشاهدات : 5487



يُلاحظ في الآونة الأخيرة انتشار ظاهرة إحياء الروابط القبلية والعشائرية في المناطق المحررة في الشمال السوري، وخاصة في أرياف حلب وإدلب وحماة.

وبعيداً عن نظرية المؤامرة، ومن يقف وراء هذا النشاط وأهدافه في هذا الوقت بالذات، والخوف من أن تكون وراءه جهات معادية لا ترى الخير للسوريين.

فإن تجدد هذه الظاهرة مؤخرًا يستدعي منا التذكير بإيجابياتها وسلبياتها المجرّبة، دون الانتقاد من أشخاص القائمين عليها، أو التشكيك بنولياهم.

لعل من أبرز إيجابياتها: تقوية العلاقات بين أفراد العشيرة، وإمكانية حشدهم خلف هدف نبيل، مع إمكانية احتواء بعض الخلافات ضمن إطار العشيرة.

غير أن السلبيات الكثيرة التي تحيط بهذه الظاهرة، تجعلنا نتوقف كثيراً قبل التغny بالإيجابيات التي قد تنهار تماماً أمام حجم السلبيات المتوقعة.

والتي من أهمها:

١- إضعاف الانتماء الديني والثوري لصالح الانتماء العشائري، وتكون الولاءات، والاصطفاف في النزاعات والحروب على أساس قبليّ.

وهي خصلة ذمّها النبيُّ بقوله: {أَبْدَعُوا الْجَاهِلِيَّةَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ} حين اصطفَ الأوس والخزرج خلف قبائلهم في نزاع بين اثنين من الأوس والخزرج.

وقال عنها: (ما بال دعوى الجahليّة؟ دعواها فإنها مُنْتَهٰى) حين اصطفَ المهاجرون والأنصار كلُّ خلف جماعته، في نزاع فرديٍّ بين مهاجري وأنصارِي.

٢- إضعاف سلطة الدولة ومرجعية الشرع، لصالح سلطة القبيلة وعرف العشيرة، وما ينتج عن ذلك من حالات استعصاء المطلوبين للدولة واحت�ائهم بالعشيرة.

٣- ضياع حق الضعفاء وشعورهم بالغبن، أمام أبناء القبائل الكبرى، والامتناع عن مقاضاتهم أو الرد على تعدياتهم إن حصلت، بداع الخوف من الانتقام.

٤- تحجيم الكفاءات من غير المنتسبين لقبائل كبيرة، وصعود أصحاب المحسوبيات العشائرية، لحرص العشيرة على تقديم أبنائها ولو كانوا أقلَّ كفاءة.

٥- توسيع الخلافات الفردية لتشمل القبيلة، وتضاعف ضحايا أي خلاف عشائري، والتهديد بالثار والانتقام، وانتشار المطاردين وتحولهم لقطاع طرق.

٦- سعي سلطات الدولة لاسترضاء العشائر، وما يترتب على ذلك من تجاوزات قانونية، وخروج زعماء العشائر عن سلطة المحاسبة، لتصبح العشيرة فوق الدولة.

٧- الخوف من جرّ القبيلة كاملة لغرض غير نبيل، كإخضاعها لمصالحة مع النظام المجرم، أو الارتهان لمشاريع ولاء للمحتل، والتنازع على الاستحقاقات.

٨- مُمَالَأَةُ الْفَرِدُ لِقَبْيلَتِهِ عَلَى الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، مَتَمِثِلًا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَرَبَةٍ إِنْ غَوَتْ
غَوَيْتُ وَإِنْ تَرْشُدْ غَرَبَةً أَرْشُدْ

٩- لقد خلقنا الله شعورياً وقبائل، لكنه ميزنا بالقوى وليس بالنسب، ومن الجهة أن يترك الفرد العمل، متفاخراً بإنجازات عشيرته وأجداده.

١٠- لقد فرّزت الثورة الناس إلى فريقين: فريق مع الحق وفريق مع الباطل، وتمايزت الصنوف - حتى داخل البيت الواحد - على أساس القضية والمبادئ.

ووجدنا أن روابط العشيرة والقبيلة - بل حتى روابط الأسرة - انهارت أمام روابط الثورة، ومن لم تجمعنا معه المبادئ، لن تنجح القبيلة في جمعنا معه.

لذلك: فإني لستُ مع إحياء هذه الظاهرة، - مع إدراكي لحسن نوايا كثيرٍ من انخرط فيها - وبديلها: تقوية روابط الإيمان والثورة، وعدم سلطة الدولة.

ختاماً: هناك رجال أفضّل وأخيار يرون التعاطي مع هذه الظاهرة لترشيدها كأمرٍ واقع، وعدم تركها لتساق بعيداً عن الثورية والأهداف النبيلة.

أحترم اجتهادهم وجهودهم، لكنني أخشى أن يتم استثمار مشاركتهم ومبركتهم، ثم الالتفاف عليها وتنفيذ ما وضع مشروع العشائرية لأجله (والله أعلم).

المصادر: